التثقيف الذاتي.. المفهوم والآليات

● المقصود بالتثقيف الذاتي هو المقدرة الذاتية التي يمكن للفرد من خلالها أن يرتفع بمستواه الثقافي الذاتي، ومفهوم التثقيف الذاتي هذا يحمل عدداً من المعاني التي تعبر عن محتواه ومضمونه وعلى سبيل المثال: ليست المدرسة أو الجامعة أو المعهد هي مؤسسات العلم والمعرفة، بل يمكن إضافة منابع لا تقل أهمية، إنها مؤسسة التثقيف الذاتي التي لا تحتاج معلمين أو مرشدين.. ولا تتطلب إدارات أو هيئات.

وعند تدقيق النظر والتأمل يمكن استقراء الكثير من المعاني التي يحملها مفهوم -التثقيف الذاتي- كالاعتماد على النفس والسيطرة عليها والقدرة على التغيير.

إعداد / محمد أبو الوفا

الاعتماد على الذات

من هذه المعاني التي يحملها هذا المصطلح العلمي الاعتماد على الذات في عملية تنمية الجانب الثقافي والمعرفي لدى الفرد في المجتمع سواء كان الفرد متعلماً تعليماً عالياً أو تعليماً عاماً أو تعليماً بسيطاً أو حتى إن كان أمياً لا يفقه قراءة ولا يعرف كتابة.. فالاعتماد على النفس يعتبر من أهم العوامل التي تدفع الأمم إلى تحقيق أهدافها وغاياتها بأبسط الإمكانات.

ومن الشواهد الدالة على ذلك أن عاملا "قراشاً" في مدرسة ابتدائية.. لم يكن يحمل من العلم إلا مقدرة القراءة بشكلها البسيط.. وكان حريصاً يوماً بعد يوم أن يسأل هذا ويتفهم من ذاك. لم يترك معلماً ولا مدرساً ولا ناظراً إلا ويسأله، واشتد ولعه في تثقيف الذات فأخذ يستغل ليله سائلاً ومتسائلاً، وهكذا يوماً بعد يوم يتوسع في دائرة التثقيف الذاتي ويعطيه مضموناً عملياً ومحتوى تطبيقياً، مرت الأيام والشهور والسنوات تقدم إلى امتحان شهادة نهاية الدراسة الابتدائية فنجح ثم مرت السنوات وتقدم إلى اختبار نهاية الإعدادية فنجح ثم نهاية الدراسة الثانوية فحصل على الثانوية العامة الأدبية ثم انتسب إلى كلية الحقوق فنجح بتفوق وأصبح محامياً ثم وكيل نيابة ثم قاضياً ثم مستشاراً في أرقى درجات المحاكم في بلده، وقد وقعت هذه القصة فعلاً وليست بنت الخيال.. والتاريخ المعاصر يقدم لنا عشرات ممن بنوا أنفسهم ثقافياً وعلمياً بأيديهم مثل العقاد وأحمد أمين ومصطفى صادق الرافعي وسواهم ممن درسوا في مدرسة الحياة، فالاعتماد على الذات التي يحملها هذا المفهوم ليست شيئا قليلا.

القدرة على التغيير

إن القدرة على التغيير ليست من صفات الخاملين، سواء أكانوا أفراداً أم جماعات.. فالتغيير قوة ذاتية إرادية أو بمعنى آخر قدرة شخصية داخلية كامنة في أعماق الإنسان سواء أكان الإنسان فرداً أو جماعة أو مجتمعاً.

السيطرة على النفس

والسيطرة على النفس أيضاً هي من أهم المعاني التي نستشفها من هذا المفهوم، فالتثقيف الذاتي يوحي بهذا المعنى، وخصوصاً إن علمنا أن النفس تميل إلى الركون والكسل والراحة بمعنى آخر أن النفس غالباً ما تميل إلى الغرائز والشهوات وإلى كثير من النزوات وهي النفس الأمارة والإنسان القادر على السيطرة على نفسه هو الشخص القادر على اتخاذ قراره بكل حرية.

البعد الثقافي

ومن المعاني التي يحملها هذا المفهوم وأهمها هو مفهوم الثقافة والتي تعتبر من أهم ركائز المجتمع، إنها مركب يحتوي على معرفة ومعتقدات وفن وأخلاق وقانون وعرف وجميع القدرات والعادات التي حصل عليها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع، فالثقافة كائن حي ينمو ويتطور بنمو الإنسان وبقائه واستمراره وبمعنى آخر أن الأمم القوية هي تلك الأمم التي تهتم بثقافتها وثقافة أجيالها وتدفعهم نحو التثقيف الذاتي خاصة وأنه تثقيف دائم وغير مكلف.

الوسائل والأدوات

تتعدد آليات التثقيف الذاتي.. ووسائله وأدواته وخاصة في عصرنا الحالي الذي اتسم بكثرة مصادر المعرفة من جانب وبالثورة المعلوماتية التي ستنتشر وتتوسع في القرن الحالي من جانب آخر، وإذا كانت المدرسة الرسمية هي الوسيلة المعرفية بالنسبة للتثقيف الرسمي ابتداء من الروضة إلى التعليم العام وغيره من حلقات التعليم الذي تشرف عليه الدولة عموماً ويأخذ طابعاً رسمياً واجتماعياً؛ فإن هنالك من مصادر المعرفة التي يمكن أن تكون منابع للتثقيف الذاتي والتي يمكن للفرد من خلالها سواء أكان أمياً أو متعلماً بسيطاً أو متعلماً تعليماً جيداً أن يزيد من ثقافته ويرتقي بمعارفه.

أولاً: القراءة:

تحتل القراءة المرتبة الأولى من حيث مصادر المعرفة وتحقيق التثقيف الذاتي دون أدنى شك، فالقراءة سلاح الإنسان ضد الجهل وسلاحه ضد الأمية وسلاحه ضد التخلف، أي أنها بمعنى آخر أداة التقدم والازدهار للفرد ثم للمجتمع، فلا ينمو عقل بدونها ولا يرتقي ذهن وتفكير إلا بممارستها ولا ينهض مجتمع إلا إذا كان أفراده محبين للقراءة.. شغوفين بالكتب مهتمين بكل جديد في عالم القراءة وعالم الكتب.

ثانياً: الاستماع وحسن الإصغاء:

لا يقل الاستماع وحسن الإصغاء أهمية عن القراءة إن أحسن الفرد استخدامه كوسيلة من وسائل التثقيف الذاتي حتى أن الكثير من العلماء قد أجمعوا على أن من أهم ما يتميز به الإنسان الواعي والناضج هو حسن الاستماع للآخرين.

فالاستماع يحقق للفرد الحصول على كثير من المعلومات سواء قبل أن يتعلم القراءة أو بعدها، ذلك أن تعدد مصادر البث المسموع إعلامياً مثل الإذاعة أو حتى التلفزة وكذلك ما يسمعه المرء من خلال المحاضرات والندوات وأحاديث الآخرين وغير ذلك يعتبر زاداً كبيراً وإثراء لمعلومات الفرد الثقافية.

كم من محاضرة وكم من درس وكم من خطاب يحمل مزيداً من الأفكار والحقائق والمعلومات التي لا يستغني عنها أي مثقف، حتى وإن كانت حصيلته في التثقيف الذاتي كبيرة، لأن هذه المحاضرات والدروس هي عبارة عن ملخصات لكتب كثيرة وقضايا عديدة يقوم المحاضر بتلخيص أهم أفكارها الرئيسة والجزئية كي يقدمها للمستمعين والحاضرين.

من هذا المنطلق حري بكل فرد يسعى إلى زيادة معلوماته وإثراء فكره وذهنه وتثقيف ذاته أن يستمر في البحث عن أي إعلان يحمل دعوة لمحاضرة أو ندوة أو مؤتمر أو درس ليكون أول الحاضرين.

ثالثاً: الملاحظة والتامل والنظر:

هب أن إنساناً أمياً لا يقرأ؛ هل بإمكانه أن يصير مثقفاً؟ إن الإجابة بنعم قد تبدو للوهلة الأولى من الصعوبة بمكان.. لكن إذا أخذنا بعين الاعتبار قيمة الملاحظة والتأمل والنظر السديد في الأمور والوقائع والأحداث فإن الإجابة ستكون أكثر سهولة، وسوف يكون الجواب؛ نعم يمكن للإنسان الأمي مثلاً أن يكون مثقفاً أو على الأقل أن يقترب من المثقفين.. الملاحظة للأشياء التي حولنا هي من أهم طرق العلم والبحث والمعرفة.. فقد وهبنا الله تعالى كوناً عظيماً رائعاً وضع فيه كثيراً من الأسرار والقوانين بحيث إذا تمت ملاحظة تلك الأشياء وعلاقاتها فيما بينها وآثارها وأبعادها وغير ذلك أمكن للفرد أن يستنبط منها كثيراً من القوانين والمعلومات والأسرار والحقائق التي إذا انضمت إلى بعضها صارت زاداً ثقافياً هائلاً يسمح للمرء أن يرتقي بمستواه العلمي والفكري والثقافي.

– وليست الملاحظة التي ينبغي للمرء أن يلاحظها ويتأمل ما جمعه منها مرتبطة فقط في عالم الأشياء من جماد ومن أسرار كونية محددة بهذا العالم الجمادي والنباتي أو حتى عالم الحيوان إنما أيضاً وبالخصوص عالم الإنسان في علاقات الناس فيما بينها وكذلك عالم المجتمعات والدول في ارتباطاتها مع مقارنة ذلك بالتاريخ ثم بالمستقبل بحيث يمكن للمرء شديد الملاحظة أن تتجمع لديه ثروة من الحقائق والقوانين تقترب من الحكم المستخلصة من تصرفات الإنسان مع أخيه الإنسان إلى جانب ما يحدث في عالم الأشياء مما يقوي في المرء عالم الأفكار لديه ليصبح أكثر ثقافة.

رابعاً: متابعة البرامج العلمية:

من الطبيعي أن الإذاعة والتلفزة اليوم تعتبران من أهم وسائل الإعلام ونقل المعلومات وتقديم الأفكار بسهولة ويسر.. وقد بات في جميع البلدان – إلا نادراً– انتشار هذه الأجهزة الإعلامية التي لا تحتاج جهداً للانتقال إليها لأنها بطبيعتها تنقل إلى الإنسان وهو في بيته أو مكان عمله أو حتى في سيارته أو في أي رحلة بحرية أو في الطائرة.

وإذا استثنينا ما يتم تقديمه من خلال هاتين الوسيلتين الهامتين والخطيرتين في أن واحد من برامج غير مفيدة تثير الغرائز والشهوات أكثر من إثارتها للفكر والعقل فإنه بإمكان المرء الذي يسعى إلى نوع من التثقيف الذاتي أن يحسن الانتقاء ويتابع البرامج العلمية والفكرية والثقافية في جميع المحطات المحلية والعالمية.

خامساً: أشرطة التسجيل

يلعب الفيديو في عصرنا الحاضر وكذلك أشرطة التسجيل المسموعة دوراً هاماً في إيجاد نوع من التثقيف الذاتي.. وإذا كانت برامج الإذاعة والتلفزة مقيدة بضوابط معينة ومحددة بزمن معين؛ فإن أشرطة الفيديو المرئية والمسموعة وأشرطة التسجيل المسموعة غير مقيدة حيث هي تحت تصرف المرء يستخدمها متى شاء وكيف شاء.

وانطلاقا من ذلك يمكن للمرء أن يقوم بتسجيل العديد من البرامج أو المحاضرات أو الدروس أو أي عمل ثقافي وعلمي وفكري على هذه الأشرطة ثم يستخدمها في الوقت المناسب له كي يستفيد مما تتضمنه من معلومات وحقائق وأفكار تنضم إلى ثقافته الذاتية.

سادساً: الإنترنت أو المنظومة العالمية المعلوماتية:

كذلك تحتل شبكة الإنترنت في وقتنا الحاضر مكانة هامة في عملية التثقيف الذاتي باعتبار أنها إحدى الوسائل التي يمكن أن تغذي الفرد بالمعلومات والمعارف على مستوى واسع وشامل، بحيث يمكن للفرد أن يستخدم هذا الجهاز استخداماً مفيدا، وينبغي أن نشير إلى أنه إلى جانب الأهمية العلمية للإنترنت فإن هناك محاذير كثيرة بالنسبة لاستخدامه يمكن التغلب عليها بمحاولة الانتقاء والبعد عما يخالف قيم الأخلاق.

سابعاً: المشاركة في المسابقات العلمية:

من المعلوم أن العديد من المنتديات والهيئات الرسمية والخاصة تعلن عن مسابقات علمية وثقافية تتضمن كتابة أبحاث أو تلخيصاً أو تحليلاً لكتاب معين أو نقد عمل علمي محدد أو كتابة قصة أو قصيدة أو غير ذلك مثل حفظ القرآن الكريم ترتيلاً وتجويداً وغير ذلك من الأمور العلمية والثقافية والفكرية.

وانطلاقا من ذلك فإن على المرء أن يشارك في هذه المسابقات العلمية كي ينمي ثقافته الذاتية ومعلوماته ومعارفه.

ثامناً: الأبحاث الشخصية العلمية والفكرية:

يمكن أيضاً إلى جانب ما سبق من قنوات تثقيفية ذاتية أن يختار المرء موضوعاً معيناً يتناسب مع هوايته وإمكانياته.. ثم يضع مخططاً للبحث ويبدأ بزيارة المكتبات وجمع المصادر والمراجع وغير ذلك، بحيث تكون هذه الوسيلة من الوسائل الهامة في زيادة ثقافة الفرد ذاتياً.

تاسعاً: متابعة مقالات الصحف والدوريات:

كذلك الأمر بالنسبة للمتابعة المستمرة للمقالات الصحفية والدوريات التي تتضمن معلومات وفيرة يمكن لمن يتابعها أن تزداد ثقافته وتكثر معلوماته، فإذا أضيف إلى ذلك نوع من المشاركة في تعقيب أو مداخلة أو تعليق أو نقد أو تصحيح لفكرة معينة أو غير ذلك فإن هذه الوسيلة يمكن أن تكون من أهم وسائل وأدوات التثقيف الذاتي.

عاشراً: السياحة العلمية والثقافية:

يعتبر السفر والسياحة من الأمور الهامة بالنسبة للفرد وبالخصوص في عصرنا الحالي إن أحسن الإنسان تسخيرها لترقية فكره ومعارفه بحيث يكونان أداة تثقيفية ذاتية لاشك فيها، فزيارة العلمية والاطلاع على آثار الأقدمين وكتابات السابقين وما خلفوه للبشرية من علوم وصناعات بالإضافة إلى الاطلاع على عادات الناس وتقاليد المجتمعات وغير ذلك يعتبر من الأدوات التثقيفية النافعة.

حادي عشر: أي وسيلة مستجدة معاصرة أو مستقبلية:

ذلك أن طالب الثقافة الذاتية لا يكل ولا يمل.. إنه يعرف كيف يتعامل مع مدرسة الحياة وكيف يستفيد من أية وسيلة تضمن له علماً ومعرفة، فإذا كان الإنترنت اليوم هو – على سبيل المثال– الوسيلة المعاصرة الجديدة للتزود الثقافي؛ فإن أية وسيلة تظهر في حاضرنا أو يتفتق عنها ذهن العلماء مستقبلاً يمكن لطالب العلم الثقافي الذاتي أن يستخدمها لتنمية قدراته الثقافية.

■ المراجع:
– مجلة الوعي الإسلامي الأعداد ٣٨٤، ٣٨٥
– د. حسن الفقي –الثقافة والتربية– دار المعارف.
– د. عادل الخنسا –التثقيف الكيفية والماهية – مكتبة مدبولي.

دش الصحراء.. أو عرب الحداثة

سيف الرحبي*

● غلاة الحداثة وغلاة التقليد، يلتقون في محطة واحدة وصلب وهم واحد، كونهم يلعبون خارج مسرح التاريخ الفعلي للبشر وأفعالهم وللثقافة والحياة. متكئين على تلك الحزمة من الأوهام التي طوح بها الخيال الضعيف إلى مناطق عماء خانق.

تتوسل الحداثة أو التحديث أو العصرنة – لا فرق في حالتنا هذه –أوجها أخرى للتقليد كونها اختزالاً واجتراراً لحداثات الآخرين (التقنية ونمط الحياة خاصة) وسياق ولاداتهم ونموهم في مجالات المعرفة والابتكارات كافة. وليس اللغة والنشاط الثقافي والشعري فحسب. إنها استعادة في مجملها الماضي "الآخر" وانجازاته في ظروف وسياق مختلفين.

ليس المقصود بطبيعة الحال الهضم والمتمثل لانجازات الحضارة البشرية، وهي ذات هوية غربية في الحقبة الواهنة بقدر ما هي كونية الهوى، بفعل آلة التوحيد الرأسمالية الضخمة، وإنما ذلك الاقتلاع المخيف للمفاهيم والتقنيات والأدوات وزرعها بشكل عشوائي وقسري في تربة تاريخ ومجتمع مختلفين، بداهة، في شروط تطورهما ووجهتهما زماناً ومكاناً ورؤية بصورة كبيرة.

تنحى النزعة الاقتلاعية نحو التبسيط في محاولات رؤيتها للتطوير والتنوير والإنماء، إلى اختزال تاريخ البشر وشروط وجودهم الروحية والمادية، إلى نوع من كونية زائفة في تعميم المفاهيم والإنجازات التقنية والحياتية، لتنمو بعيدا عن أرضيتها الطبيعية وإطارها النظري، السلوكي والأخلاقي. مما ينتج عن ذلك من تشوهات وانفصامات ترمي بالكائن خارج مدار تاريخه والتاريخ عامة.

●●●

ليست القدرة على جلب الأدوات والتقنيات والاختراعات، والتي استغرقت رحلة تطورها آلاف السنين إلى ما وصلت اليه، هي العامل الحاسم في هذا السياق من التطور، وانما القدرة على الاستيعاب والتمثل الحقيقيين، ضمن الشروط الخاصة للإنتاج والإبداع، هو الحاسم. كما أثبتت التجارب الكبرى لحضارات الشعوب منذ عصور ما قبل الحداثة، بالمعنى الزمني المعاصر. بالمقابل والنقيض. كما أثبتت التجارب العربية المعاصرة، والعالم ثالثية مع وتائر التفاوت والتقارب.

في هذا القرن، الذي نقف على صخرة أنفاسه الأخيرة الدامية، شهد العقل البشري أعظم اكتشافاته وأخطرها – وإن نزعت نحو الهيمنة والعدوان – وفيه أيضا مضى الفكر العربي باحثا عن مواطىء أقدامه وسط جلبة العصر وصراعاته ورؤاه... باحثا في مرآة هذه المباني من الأفكار والتناقضات، عن وجهه الحقيقي الذي يصله بأحداث عصره وتقدمه السريع بعد عهود ظلامية طويلة، كما يصله بتاريخه المتلاشي العظمة وسط أكوام التخلف والتقهقر والانكسار، أو هكذا كان الطموح في سماته الجوهرية.

شهدت محاولات التنوير والتحديث جهودا مضنية وصلت إلى مستوى الاستشهاد الفكري والجسدي. لكن المفصل القاتل في هذه المرحلة، أن تلك الجهود والمحاولات لترشيد الحاضر المتخلف وتنويره، لم تؤت أي تغييرات جذرية في بنيات الواقع والتفكير. وبقيت (الجهود) في إطار النخب العربية المثقفة ومجالاتها وأحلامها، ولم تذهب أبعد من سطور هذه النخب، مما أدى – وربما من نتائجه الأساسية – إلى هذه الهوة الحضارية التي نعيش ونشاهد.

هذه الهوة التي تفغر فاها، أكثر، يوماً بعد يوم، بين قيم التحديث والابتكار والعصرنة بكل أوجهها، وبين الأرضية الاجتماعية المفعمة بقيم التخلف والاتكالية، المفعمة بهيمنة الماضي وروح الأصوات والخرافات في مجتمعات شبه ريعية، غير منتجة في مجملها، خلقت إشكاليات اجتماعية ونفسية في سلوك الأفراد والجماعات، وفي العلاقات بين البشر، وبينهم وبين ما يستهلكون ويستخدمون في طرق حياتهم، وخلقت أمراضا تستعصي على تشخيص أعتى علماء النفس والأعصاب. خاصة في المجتمعات التي شهدت تحولات صاعقة في نمط حياتها ومعيشتها وتفكيرها من غير تهيئة واستعداد، تحولات مؤلمة في فصامها بين الوقائع والقيم، بين الثوابت والمتغيرات.

لم يعرف التاريخ البشري مثل هذه التحولات المفاجئة، كالتي اقتحمت الحياة والتفكير دفعة واحدة، واحتلت، حتى عند الموغلين في العداء لها، المساحة كاملة بلمعان حداثتها وتقنياتها الخلابة، وسط بشر، لم يبذلوا أي جهد في هذا الاتجاه، بل خضعوا طواعية لصياغة هذا المصير الحتمي من غير فعالية إبداعية، تؤرخ للمشاركة في صياغته وفحواه.

بهذا المعنى ستكون الحداثة هي التي صنعت البشر وليس العكس. إنها ليست خيار حرية وابداع.

خلقت هذه التحولات الساحقة لأنماط الحداثة الأخرى، هزة في الوجدان الجمعي، ولخبطة في جهاز الاستقبال الذهني والعصبي، حيث نرى هذا الجمع معلقا بخيوط لا مرئية في رحلة ضياع يومي تمتد من المآكل والملبس ولغة الكلام حتى نسيج القيم والمعايير التي تنظم عقد سلوك الجماعات والأفراد، التي انسلخت نحو الفظاظة والحقد وبذخ الاستعراض، نحو تفك البنى والعلاقات المتوارثة التي كانت ركن الاجتماع المشترك، لصالح الاغتراب والأنانية المفرطة والوهم.

وضمن ثنائية الصراع بين حداثة الوهم وتقليدية الوهم، أصبح المنحازون لوهم التحديث عازفين ومتبرمين من كل ما يمت إلى الجذور والماضي بحجة التخلف عن ركب العصر ومظاهره.

من هنا نشاهد ذلك الجهل الفاضح بتراث الأجداد وانجازاتهم الحقيقية وأنماط معيشهم، حتى عند كتاب ومثقفين بتوقيع الادعاء والاشاعة.

هل ينبغي التذكير وهو مطلوب في مثل هذه الحالات بإنجازات الأسلاف وابداعاتهم وسط قسوة الطبيعة والعالم، واعتمادهم الذاتي في تسيير شؤون الحياة والفكر؟

هل تتناسى تلك المنابع الثرة، مقحمين عليها وهم الصراعات اللاحقه، شاطبين تخومها المضيئة من حياتنا، إلى أن نفضي إلى رحلة التآكل والضياع اليومي.

●●●

لنتخيل سيناريو لفيلم سينمائي: عائلة تفترش الأرض أو على حصيرة هي ما تبقى من الأيام الخوالي، تجلس أمام شاشة التليفزيون المسلح بطبق فضائي في صحراء الطوارق أو صحراء الربع الخالي... عشر محطات. عشرون. ثلاثون. تتبدل الصور والمشاهد الباذخة تتبدل البلدان والقارات، السماء والأرض الطبائع والوجوه والعمران.

كل يوم على هذه الحال، إلى حد انقطاع الكلام والحوار بينهم وتحولهم بالكامل إلى مخلوقات تليفزيونية.

لم يعودوا بحاجة إلى سماع أصوات الطبيعة وحيواتها وجمالها من حولهم، فهي تقدم لهم جاهزة مثلما تقدم الوجبات السريعة على الشاشات التليفزيونية.

لنتخيل عنف التحول الذي طرأ على هؤلاء البشر الذين كانوا مستقرين في مسيرة حياتهم، يتناسلون جيلا بعد جيل حتى اكتسحتهم آلة التحديث وقذفتهم خارج تاريخهم بأزمنة ضوئية.

إن هذه الصورة تشكل نموذجا مكثفا في مأساته للحياة بصورة عامة، تلك التي اكتسحتها تلك الآلة الصماء المثيرة، من غير أن يكون لبشرها ذلك الجهاز الحسي والذهني الملائم لاستقبال تلك المعطيات المدنية الحديثة..

●●●

من جهة أخرى لم تلتفت "الحداثة" في سجالها النظري إلى الواقع والمعيش الا بشكل تجردي وجزئي.

ظلت رحاها تدور في أوساط المثقفين والكتاب والشعراء. فكأنما بها في هذا المنحى "وريثة" ما اصطلح على تسميته بعصر «النهضة» العربية وانوارها. مع أن هذه الأخيرة كانت اكثر حماسة واندماجا في أحلام التغيير والارتباط بمشاريع سياسية وفكرية وكانت أكثر طموحا في تثوير الواقع والتاريخ.

ظلت الحداثة العربية في مجالاتها وقفا على التجديدات الشعرية والثقافية، منطوية في كبرياء عزلتها، ناظرة إلى الواقع والتاريخ اللذين يزدادان سوءا بعين الترفع والازدراء والقرف، وحتى حين انتمى بعض رموزها إلى مشاريع ما، لم يكن ذلك الانتماء إلا تجربة وجود شعرية ستدعم العزلة والانفصال اللاحقين.

الحداثة الشعرية والثقافية في تأثرها بالمناخ العالمي، ليست مثل حداثة الأدوات الاستعمالية والتكنولوجيا في مجتمعات ريعية، والفصل واضح المعالم في الحالة العربية، بل هي هجينة قلق خاص، مع تمثل قل أو كثر لوقائع الابداع والتاريخ. تلك بعض سمات أساسية. أما الطفح الآخر في الثقافة الخليجية والعربية المرتبط بآلية الاستهلاك والوجاهة، فهو توأم الوقائع الفاجعة لحداثة النمط، حياة وأفكارا.

●●●

لم نعد نشبه هذا البحر
ولا هذه الأرض
يبدو أن قرونا مرت بزواحفه
ونحن نيام.

* رئيس تحرير مجلة «نزوى» العمانية..

الفن من منظور إسلامي

● عقدت في مصر عام ١٩٩٣م ندوة عن الفن من منظور إسلامي، وهدف هذه الندوة ضرورة توظيف الفنون المختلفة لخدمة الدعوة الإسلامية، وأجمع المشاركون في الندوة أن القائمين على الفنون المختلفة في الدول العربية والإسلامية عليهم واجب كبير في إعادة صياغة إنسان الحضارة الإسلامية. في بداية الندوة تطرق الدكتور/ سيد رزق الطويل إلى الحديث عن قضية الفن في شيء معين وأن التفنن يعني التزيين والتجميل، وذكر أن الإسلام حافل بالنصوص التي تحض على الجمال في كل صوره وألوانه وأن الإسلام في عرض مبادئه جمال في حد ذاته ويدعو إلى الجمال في الأخلاق والسلوكيات وجعل الزينة والجمال مرتبطة بالعبادة وقد قال الله سبحانه وتعالى: «..خذوا زينتكم عند كل مسجد».

فاروق الجفري

ومن ثم فالزينة أمر مطلوب ومرغوب بشرط ألا تتجاوز دائرة القيم والفضائل والأخلاقيات التي دعا إليها الإسلام حفاظاً على سلامة المجتمع المسلم ووقاره.

● ثم تحدث الشيخ/ محمد الغزالي عن ثراء الحضارة الإسلامية بالنواحي الجمالية، وأكد على حاجة الأمة إلى أن تستثار همتها وأن تتجه فنونها إلى معاني القوة والشجاعة والفداء لا الرخاوة والضعف والشك، وأجمل الغزالي موقفه من الفن في نهاية حديثه بقوله: أنا مع الفن وضد الفن، مع الفن عندما يقوم بدوره في تربية الأطفال وإشاعة المعاني النبيلة والسامية والمثل الرفيعة والغايات الفاضلة وضد فنون السفه والتشكيك والإنحلال الأخلاقي والتي لاهم لها إلا استثارة الغرائز وإضاعة الوقت.

ثم بدأ الدكتور/ محمد عمارة حديثه عن الفن وقال بأن الفن لابد أن يكون له مقاصد أخلاقية أما ماتراه اليوم من أعمال يقال إنها فنية لاهم لها إلا استثارة الغرائز فليست فناً على الإطلاق. وأكد أن الفنون الجميلة ليست فقط شيئاً مباحاً ولكنها مطلوبة بل تعد هامة على المجتمعات فالفنون لها دور هام في تجديد حيوية وقدرات وملكات الناس.